مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 7 (رت 69) السنة: 2022

الأثر الإسلامي في التفسير اليهودي للتوراة في العصر الوسيط
سعديا الفيومي نموذجا

The Islamic Impact on the Jewish Interpretation of the Torah in the Middle Ages
Saadia Fayoumi is a model

د. ياسين حامي [1]
جامعة الجزائر -01- بن يوسف بن خدة
Yacinetahar231@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/07/19 القبول 2022/10/17 النشر على الخط 2022/11/05
Received 19/07/2022 Accepted 17/10/2022 Published online 05/11/2022

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان تأثر المفسرين اليهود في العصور الوسطى في تفسيرهم للتوراة بمناهج و أدوات المفسرين المسلمين ، التي استخدموها في تفسر القرآن الكريم ، مما يبين أن تأثير الثقافة الإسلامية على الثقافة اليهودية لم يقتصر على اليهود القرائين وحدهم ، بل وصل هذا التأثير إلى علماء اليهود الربانيين .

و اعتمدنا في هذه الدراسة على الاستقراء و التحليل لتفسير سعديا الفيومي للتوراة لبيان أساليب و أدوات التفسير الإسلامي التي وظفها الفيومي في شرحه للتوراة و التي لم تكن مستعملة عند العلماء اليهود ، بل كانت من ابتكار العلماء و المفسرين المسلمين .

و توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن سعديا الفيومي وظف أدوات و أساليب العلماء المسلمين في شرحه للتوراة ، مما يثبت أن تأثير الثقافة الإسلامية على الثقافة اليهودية لم يقتصر على فرقة القرائين بل وصل إلى الربانيين ، و هذا ما يخالف الفرضيات الاستشراقية حول تأثير اليهودية على الإسلام ، و يثبت عكس ذلك .

الكلمات المفتاحية : سعديا الفيومي، اليهودية، الإسلام، التفسير، التوراة .

Summary :

This study aims to show the influence ON the medieval Jewish interpreters in their interpretation of the Torah by the methods and tools of the Muslim interpreters, which they used in the interpretation of the Noble Qur'an, which shows that the influence of Islamic culture on Jewish culture was not limited to the Karaite Jews alone, but rather reached Jewish scholars Rabbis.

In this study, we relied on induction and analysis of Saadia al-Fayumi's interpretation of the Torah to show the methods and tools of Islamic interpretation that al-Fayumi employed in his explanation of the Torah, which were not used by Jewish scholars, but were invented by Muslim scholars and interpreters.

Through this study, we concluded that Saadia al-Fayumi employed the tools and methods of Muslim scholars in his explanation of the Torah, which proves that the influence of Islamic culture on Jewish culture was not limited to the Qaraiteen sect, but reached the Rabbis, and this contradicts orientalist assumptions about the influence of Judaism on Islam. , and proves the opposite.

Keywords: Saadia al-Fayumi, Judaism, Islam, interpretation, the Torah.

[1] المؤلف المراسل: **ياسين حامي** البريد الالكتروني: **Yacinetahar231@gmail.com**

1- مقدمة:

يعد سعديا الفيومي من أبرز علماء اليهود في الفترة الوسيطة، لذا فإن بيان و إثبات تأثره في تفسيره للتوراة بمناهج و أدوات المفسرين المسلمين يمكننا من بيان خطأ النظرة الاستشراقية ، و التي تعتمد على أن السابق يؤثر في اللاحق ، كما أن إثبات هذا التأثر يصحح المفاهيم حول دور الحضارة و الثقافة الإسلامية في تاريخ الفكر الديني .

و المتتبع لتفسير سعديا الفيومي للتوراة يلحظ تأثره بآراء الفرق الإسلامية، و بالإشكالات التي أثيرت بين فرق المسلمين حول فهم القرآن الكريم ، و من هذه الإشكالات التفسير بالحقيقة و المجاز و حدوده ، و القضايا الكلامية كمرتكب الكبيرة و العدل و التوحيد ، مما يدفعنا إلى التساؤل ما مدى تأثر الفيومي بآراء و توجهات الفرق الإسلامية في تفسيره للتوراة ؟ و هل استفاد الفيومي من مناهج و أدوات المفسرين المسلمين ؟

2- تمهيد حول تعريف سعديا الفيومي و تفسيره:

تعطينا موسوعة فلاسفة و متصوفة اليهود نظرة مجملة حول سعديا الفيومي و توجهاته الدينية و الفكرية ، فهو "سعدى SAADIAH (882-942) سعاديا أو بالأحرى سعدي بن يوسف الفيومي ، مصري ولد بالفيوم من أعمال الصعيد ، و ثقافته عربية ، و كتابه الرئيسي **الأمانات و الاعتقادات** ألفه بالعربية ، و يبدو فيه شديد التأثر بالمدرسة الكلامية عند المعتزلة و هو ينحو نحوهم في تفسير التوراة ، وهناك تشابه كبير بين تفكيره و فلسفة محمد بن زكريا الرازي ، ويستخدم سعدى حججه ليبرر بها شرعية النبوة و وحدانية الله ، و يذهب مذهبه في تفسير الوحي ، و لا يرى تعارضا بين الدين و العقل ، و يقيم تأويلاته على التفكير العقلي ، و لذلك جاء تفسيره العربي للتوراة به بعض التكلف ، فقد أراد أن يدافع عن العقيدة اليهودية ، و يقوي بمذهبه جانب التنزيه فيها ، و يخفف من غلواء التجسيم و التشبيه في التوراة ،وتطلب منه ذلك أن يستعين بأدوات التفكير و المعرفة في وقته و هي الفلسفة الإسلامية المتأثرة إلى حد كبير بالفلسفة الأرسطية ذات الصفة الأفلاطونية عند العرب ، و قد نجح سعدى بهذه الطريقة في النوفيق بين معطيات التنزيل و مذاهب التأويل العقلي دون صدام عنيف و لا تحريف خطير" ، و نستشف من تعريف الفيومي طبيعة المحاولة العلمية التي تحشمها و التي كانت تعتمد على الآليات العلمية و الفكرية المستمدة من الحضارة الإسلامية في مرحلة الخلافة العباسية ، مع ما ظهر في هذه المرحلة من مذاهب و توجهات فكرية و علمية ، و يمكن تفسير المحاولة الفكرية لسعديا الفيومي بمحاولة التأقلم و الدفاع عن الديانة اليهودية [1]، في ظل الظروف المستجدة التي أحدثتها الحضارة الإسلامية ، خاصة مع بروز المؤثرات الإسلامية على الديانة اليهودية و من أبرز مظاهر هذا التأثر ظهور فرقة القرائيين التي شغل الرد على آرائها نصيبا هاما من أفكار و مؤلفات سعديا الفيومي .

---

[1] – يؤكد هذا المعنى ما ذكره الفيومي في سبب تأليفه لكتاب الأمانات و الاعتقادات حيث يقول : " فلما وقفت على هذه الأصول ، و سوء فروعها ، أوجعني قلبي لجنسي ، جنس الناطقين ، و اهتزت نفسي لأمتنا بني إسرائيل مما رأيته في زماني هذا من كثير من المؤمنين ، إيمانهم لا خالص ، و اعتقادهم غير صحيح ، و كثير من المبطلين يتظاهرون بالفساد ، و قد ظلوا على أهل الحق و هم يضلون ، و رأيت الناس كلهم قد غرقوا في بحار الشكوك ، و قد غمرتهم أمواء اللبوس ، و لا خائض يصعدهم من أعماقها ، و لا سابح يأخذ بأيديهم فيعبرونها ،و كان عندي مما علمني ربي ما أجعله لهم سندا ، و في وسعي مما رزقني ما أضعه لهم رفدا رأيت أن إسعافهم به علي واجب ، و إرشادهم إليه لي لازم ..." سعيد بن يوسف الفيومي ، **الأمانات و الاعتقادات** ، تحقيق : شريف حامد سالم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2021) ، ص: 36-37.

و تعد الفترة التي قضاها سعديا في بغداد من أهم أسباب تأثير الحضارة الإسلامية في توجهاته الفكرية ،" فسياسيا عاصر قدرا كبيرا من الخلافة العباسية ، و شاهد سقوط بغداد في أيدي البويهيين عام 935 م في خلافة الراضي المقتدر ، إلى أن مات و تولى أخوه المتقي الخلافة من بعده و توفي سعديا أثناء خلافته ، و ثقافيا عاصر ازدهار الفكر و العلوم الإسلامية ، و انتعش بالثقافات المختلفة التي امتلأت بها خزائن بيت الحكمة ، و شهد نشاط الفرق الإسلامية من معتزلة و سنية ، كما اطلع على ما خلفه علماء المسلمين من فكر و قرأ عن المناقشات و المنافسات العلمية بين مدرستي الكوفة و البصرة في النحو ،و بين مدرسة الحجاز و العراق في التشريع و الفقه ..."[1] هذه الحركية العلمية في هذه المرحلة تفسر لنا أسباب توجهات سعديا الفيومي في قراءته للتراث اليهودي .

3- أبرز مظاهر تأثر تفسير سعديا الفيومي للتوراة بالثقافة الإسلامية :

3-1 تأثر الفيومي بفكرة التحسين و التقبيح العقليين:

يظهر في مسألة التحسين و التقبيح العقليين تأثر سعديا الفيومي بآراء المعتزلة الكلامية ، كما يظهر لديه السعي إلى الرد على التوجهات الكتابية لفرقة القرائيين، التي رفضت التلمود و التراث الرباني ، "هذا التقسيم له جذوره في المصادر اليهودية القديمة ، غير أنه أكد عليه في علم الأخلاق لدى طائفة المعتزلة المسلمين ، فطبقا لرأي المعتزلة فإن القيم الأخلاقية قائمة بذاتها و ليست نتيجة لإرادة الخالق المشرع فقط ، و النتيجة التي تبرز من ذلك هي أن الواجبات الأخلاقية الملقاة على عاتق الإنسان ، تسري أيضا على الله ، و هذا الرأي له جذوره في شريعة اليهود ، و هذا الرأي للرابي سعديا جاؤون بشأن قضية تقسيم الشريعة يبرز بصورة واضحة في كتاب الأمانات و الاعتقادات المقالة الثالثة ، و من أقواله في هذا الكتاب يفهم أن الشريعة العقلية معروفة للإنسان باستدلال العقل ، و ذلك بدون ظهور نبوي "[2]، مما يبين بوضوح الأثر المعتزلي على مسألة التحسين و التقبيح عند سعديا الفيومي ، إلى جانب كون آرائه تعبر عن ردود أفعال تجاه فرقة القرائين التي مثلت بدورها مظهرا من مظاهر التأثر اليهودي بالإسلام .

ويظهر تأثر الفيومي بالتوجه العقلي في التحسين و التقبيح عند المعتزلة في نقده لنسبة التحسين و التقبيح إلى الوقائع الموضوعية و كذا في رفضه للنظرية الحسية ، "و هي النظرية النسبية الذاتية و التي تجعل الحسن و القبح هما اللاذ و المؤلم و النافع و الضار و هي النظرية النفعية الحسية ، فعلى مستوى الحس يكون الحسن هو اللذيذ ، و القبيح هو المؤلم ، و على مستوى النفع يكون الحسن هو النافع و القبيح هو الضار ،و قد يتحدد الحسن و القبح بمدى ملائمة الغرض و منافرته ، ففيما اتفق مع الغرض يكون هو الحسن و ما نافره يكون هو القبح ، و لو كان الإنسان مجبرا لما لزمت هذه القدرة ،و فيما التمييز و الفعل واقع لا محالة دون حاجة إلى تدبر و وعي و إحكام نظر ، هذا هو حكم العقل ، لعلمه بحسن الأفعال و قبحها في العقليات "[3]،و إلى جانب نقد الفيومي للتوجه الموضوعي و الحسي في التحسين و التقبيح يؤكد على التوجه العقلي في مسألة التحسين و

---

[1] – عبد الرزاق أحمد قنديل ، **الأثر الإسلامي في لفكر الديني اليهودي** (دار التراث ، القاهرة ، 1984) ، ص: 187 .

[2] – موشيه مردخاي تسوكر ، **التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة** ، ترجمة : أحمد محمود هويدي (مركز الدراسات الشرقية ، القاهرة ، 2003) ، ص :25.

[3] – يحي ذكري ، **علم الكلام اليهودي سعيد بن يوسف الفيومي نموذجا** (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2015) ، ص: 155.

التقبيح متأثرا في ذلك بالمعتزلة ، "و اعتبر الفيومي الحقائق الأخلاقية مثل الحسن و القبح مثل الحقائق الرياضية يقدر العقل على الوصول إليها دون تعليم أو شرع أو نبوة أو اكتساب ، فهي اقرب إلى الحقائق الضرورية ، و لأن إنكار الحسن و القبح العقليين إنكار لاستقلال القوانين الخلقية و هدم لموضوعية القيم ، رفض الفيومي مجرد مناقشة رأي من يزعم إمكانيية إثبات الحسن و القبح بالشرع ، و خاصة أن العقل عند الفيومي أساس الشرع "[1].

3-2 تأثر الفيومي بالضوابط اللغوية عند المفسرين المسلمين :

يتميز التفسير عند علماء اليهود السابقين على سعديا الفيومي بالتحرر من القواعد اللغوية و العقلية تحررا مطلقا ، لكن مع ظهور تفسير سعديا الفيومي بدأ التوجه عند علماء التفسير اليهود إلى وضع ضوابط و قواعد متأثرين في ذلك بالضوابط اللغوية و العقلية و المعرفية التي أنشأها علماء التفسير المسلمين ، " فقد بدأ تحول جوهري و أساسي في تفسير المقرا بأعمال الرابي سعديا الفيومي ، و الرابي صموئيل حفني الذي اقتفى أثره في كل تفاسيره للتوراة ، و كما هو معروف فإن حكماء التلمود و المدراش قد فرضوا قدرا عظيما من الحرية في بحث الكتابات المقدسة ،،أما الرابي سعديا الفيومي و الرابي صموئيل بن حفني فقد وضعا لتفاسيرهما اسسا من القوانين المعجمية و مبادئ النحو ، و مناهج التفسير العقلي "[2] ،و هذا التأثر ثابت علميا حتى أن بعض الوثائق التفسيرية التالفة جزئيا من وثائق الجنيزا يمكن إكمال النقص الوارد فيها باعتماد اصطلاحات علماء اللغة و التفسير المسلمين ، " و الواقع فإنه في عصر الجاؤونيم السابقين الذي انتشر فيه الإنتاج التفسيري توفر لدى العرب أدب تفسيري كبير و متشعب مؤسس على قوانين النحو و علم البلاغة ، و لهذا في حد ذاته أهمية في افتراض أن منهج الجاؤونيم في تفاسير العهد القديم كان له صلة و علاقة بعلم التفسير عند المسلمين و بفحص الأجزاء الكثيرة من تفاسير الرابي سعديا جاؤون و الرابي صموئيل بن حفني الموجودة ضمن ووثائق الجنيزا القاهرية أصبح هذا الافتراض يحظى بصلاحية أكيدة معترف بها ، و ليسس هذا فحسب ، بل إنه بفحص المصادر الإسلامية أيضا يمكن تتمة أجزاء الجنيزا الناقصة بسبب الطمس و الفراغات الموجودة في وثائق الجنيزا "[3].

و قد انطبعت محاولة سعديا التفسيرية للتوراة بمتطلبات الواقع اليهودي الجديد ، فقد ترجمالتوراة من العبرية إلى العربية "وحاول سعديا في ترجمته هذه أن يجعل الكتاب المقدس بسيطا في متناول عقلية و إدراك القارئ العادي ، فكا ن من رأيه أن بسيط المقرا يمكن أن يقف مع الدراش و يأخذ مكانه و لا ضرر في ذلك ، و بهذا كان أول من تمسك بتفسير التوراة بمنهج البشاط ، و قد سعديا لكل سفر من الأسفار التي ترجمها بمقدمة يشرح فيها الهدف من هذه الترجمة ،و الهدف من السفر نفسه ، و مايكون قد اشتمل عليه من أحداث و مدلول تلك الأحداث ،و كانت ترجمته العربية خالية من الصفات التشبيهية حيث تخلص من التجسيم و التشبيه و خلع الصفات البشرية على الله "[4].

ومن أمثلة تأثر الفيومي بمناهج المفسرين المسلمين تأثره بمسألة حمل النصوص المتشابهة على النصوص المحكمة ، هذه المسألة التي خاض فيها مفسروا المسلمين و إن اختلفت طوائفهم في بعض الآيات هل هي المحكمة أم هي المتشابهة ، ففي مقدمة تفسيره للتوراة يذكر الفيومي أنه سيحمل المتشابه على المجمل فيقول :"و اعلم يا ناظرا في هذا الكتاب أنه على جلالة قدره ، و

[1] - المرجع نفسه ، ص : 155-156 .
[2] - موشيه مردخاي تسوكر، مرجع سابق ، ص: 43 .
[3] - المرجع نفسه ، ص: 44 .
[4] - عبد الرزاق أحمد قنديل مرجع سابق ، ص : 188 .

شرف مرتبته و ألا يقام به سائر كتب النبوة ، و على صحيح لفظه يفسر ما استغلق و استعصى منه ..."[1]،هذا التقسيم الذي ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : (هُوَ **الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**)[2] ، و قد ذكر فخر الدين الرازي أوجه الخلاف بين المفسرين المسلمين في مسألة المحكم و المتشابه ثم اختصر رأي المحققين منهم بقوله: " الناس قد أكثروا من الوجوه في تفسير المحكم و المتشابه ، و نحن نذكر الوجه الملخص الذي عليه أكثر المحققين ، ثم نذكر عقيبه أقوال الناس فيه فنقول : اللفظ الذي جعل موضوعا لمعنى ، فإما أن يكون محتملا لغير ذلك المعنى ، و إما أن لا يكون فإذا كان اللفظ موضوعا لمعنى و لا يكون محتملا لغيره فهذا هو النص ، و أما إن كان محتملا لغيره فلا يخلو إما أن يكون احتماله لأحدهما راجحا على الآخر ، و إما أن لا يكون كذلك بل يكون احتمالهم على السواء ، فإن كان احتماله لأحدهما راجحا على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح ظاهرا ، و بالنسبة إلى المرجوح مؤولا ، و أما إن كان احتمالهما على السوية كان اللفظ بالنسبة إليهما مشتركا ، و بالنسبة لكل واحد منهما على التعيين مجملا ، فقد خرج من التقسيم الذي ذكرناه أن اللفظ إما أن يكون نصا أو ظاهرا أو مؤولا أو مشتركا أو مجملا ، أما النص و الظاهر فيشتركان في حصول الترجيح ، إلا أن النص راجح مانع من الغير ، و الظاهر راجح غير مانع من الغير ، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم "[3].

و قد ذكر القاضي عبد الجبار في كتابه المغني فائدة ورود المحكم و المتشابه في القرآن الكريم في سياق رده على مطاعن الملحدين[4]، و قد كان لردوده هذه صداها عند المفسرين اليهود ،" و في جزء من مقدمة الرابي سعديا جاؤون للتوراة نجد الرب فعل بنا كذلك لكي يعطينا الأجر عن العمل و الجهد ...و بداية فائدة الحكمة التمتع بها و الثواب عليها ، لأنه لا يوجد ثواب عن كل جهد كما يوجد في هذه الدنيا أفضلية لبعض الناس في العاجلة و الآجلة ...كذلك ألمح الرابي سعديا جاؤون قبوله أن التوراة الشفهية تكمل النقص في التوراة المكتوبة و تفسر المشكل منها ، و في موضع آخر من مقدمة الرابي سعديا يقول إن المشكل و المشتبه في التوراة ناتج عن أنها مكتوبة بإحدى اللغات مبنية على نسق هذه اللغة ، و نجد إجابة مشابهة لذلك عند ابن قتيبة "[5].

3-3 تأثر الفيومي بمسألة الحقيقة والمجاز عند العلماء المسلمين :

---

[1] – سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي ، **تفسير التوراة بالعربية** ، تحقيق : يوسف درينبورج ، نقله إلى الحط العربي : سعيد عطية مطاوع ، أحمد عبد المقصود الجندي (المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2015)، ص : 79.

[2] – آل عمران :07 .

[3] – محمد الرازي فخر الدين ، **مفاتيح الغيب** (دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1981)، ج: 7 ، ص : 181.

[4] – يقول القاضي عبد الجبار : "فصل في بطلان طعنهم في القرآن الكريم من حيث يشتمل على المحكم و المتشابه : اعلم أن الطعن بذكر المتشابه إنما يصح متى ثبت أنه على هذا الوجه لا بد من أن يقبح ، و أن لا يقع من الحكيم ، أما إذا لم يمكن بيان ذلك فلا مطعن به لأنا و إن لم نذكر الوجه في كونه صلاحا و لطفا فإنا نعلم في الجملة أنه لابد مع وروده من الحكيم أن يكون كذلك ..." القاضي أبو الحسن عبد الجبار ، **المغني في أبواب التوحيد و العدل** ، تحقيق : محمد علي النجار ، عبد الحليم النجار (دون معلومات النشر) ج : 16، ص:370.

[5] – موشيه مردخاي تسوكر ، مرجع سابق ، ص :53 .

تأثر الفيومي بمباحث الحقيقة و المجاز التي ظهرت في زمانه عند العلماء المسلمين ،و قد استخدم المفاهيم و الآراء المستحدثة من قبل علماء اللغة العربية حول الحقيقة و المجاز في القرآن الكريم ، و نقل تطبيقات هذه المفاهيم إلى تفسيره للتوراة و الملاحظ أن التوسع في مفهوم المجاز عند علماء اللغة المسلمين يوجد له ما يقابله في تطبيقات سعديا الفيومي ، و من أبرز هؤلاء العلماء الذين تأثر بهم الفيومي ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن [1]، ويظهر هذا التأثير في تأويل سعديا الفيومي لمفهوم الاستراحة في سفر التكوين بعد الفراغ من الخلق ، تأويلا يبتعد عن الظاهر المتبادر للذهن و الذي هو الاستراحة من التعب مما لا يليق بالذات الإلهية فيقول في تفسيره لسفر التكوين "1 كملت السماء و الأرض و جميع جيوشهم 2 و أكمل الله في اليوم السابع خلقه الذي صنع 3 و بارك فيه و قدسه ، إذ عطل فيه أن يخلق شيئا من مثل خلقه الذي صنعه ..."[2] و يلاحظ هنا أن سعديا حمل معنى الاستراحة على معنى مجازي هو الفراغ و هكذا يلجأ للتأويل في تفسيره للمواضع التي ظاهرها يدل على التجسيم و التشبيه متأثرا في ذلك بعلماء اللغة و التفسير المسلمين [3].

و من علماء اللغة المسلمين الذين تأثر بهم الفيومي في توسعه في مفهوم و تطبيقات المجاز أبو عبيدة ، و الذي يأخذ المجاز عنده مفهوما واسعا ، " و مهما كان الأمر فإن أبا عبيدة يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات : مجازه كذا ، و تفسيره كذا و معناه كذا ،و غريبه و تقديره ،و تأويله على أن معانيها واحدة أو تكاد ، و معنى هذا أن كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته ، و هذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد ، و لعل

[1] – ينبه ابن قتيبة في كتابه على خطر إهمال المعاني المجازية في فهم النصوص الدينية و يبين أن ذلك كان سببا في خطأ النصارى في اعتقادهم بنوة المسيح على الحقيقة ، و خطأ اليهود في حملهم الاستراحة يوم السبت في نصوصهم على المعنى الظاهر فيقول :"و أما المجاز فمن جهته غلط كثير من الناس في التأويل ، و تشعبت بهم الطرق ، و اختلفت النحل ، فالنصارى تذهب في قول المسيح عليه السلام في الإنجيل أدعو أبي و أذهب إلى أبي و أشباه هذه إلى أبوة الولادة ، و لو كان المسيح قال هذا في نفسه خاصة دون غيره ، ما جاز لهم أن يتأولوه هذا التأويل في الله تبارك و تعالى عما يقولون علوا كبيرا مع سعة المجاز ، فكيف و هو يقوله في كثير من المواضع لغيره ؟كقوله حين فتح فاه بالوحي : إذا تصدقت فلا تعلم شمالك بما فعلت يمينك ، فإن أباك الذي يرى الخفيات يجزيك به علانية ، و إذا صليتم فقولوا يا أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك ، و إذا صمت فاغسل وجهك و ادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير أبيك ... و في التوراة : إن الله برك اليوم السابع و طهره ، من أجل أنه استراح فيه من خليقته التي خلق ، و أصل الاستراحة أن تكون في معاناة شيء ينصبك و يتعبك فتستريح ثم ينتقل ذلك فتصير الاستراحة بمعنى الفراغ ، تقول في الكلام استرحنا من حاجتك ، تريد فرغنا ،و الفراغ أيضا يكون من الناس بعد شغل ثم قد ينتقل ذلك فيصير في معنى القصد للشيء ، تقول لإن فرغت لك أي قصدت قصدك ..." أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، **تأويل مشكل القرآن** ، تحقيق : أحمد صقر(المكتبة العلمية ، دون معلومات نشر) ، ص : 104-105.

[2] – سعديا الفيومي، مرجع سابق ، ص :84.

[3] – يحاول الفيومي في ترجمته التخلص مما ورد في التوراة من التجسيم فيجعل على سبيل المثال الذي صارع يعقوب في سفر التكوين ملاكا و ليس إلها فيقول : " ثم أخذهم فعبر بهم الوادي ، و عبر بجميع ما له 25 و بقي يعقوب في ذلك الجانب وحده فصارعه الملاك إلى مطلع الفجر 26 فلما رأى أنه لم يطقه دنا من حق وركه ، فزال حق ورك يعقوب في مصارعته معه 27 ولما طلع الفجر قال له أطلقني ، قال لا أطلقك دون أن تباركني 28 قال له ما اسمك ؟ قال يعقوب 29 قال لا يسمى اسمك أبدا يعقوب فقط إلا إسرائيل لأنك ترأست عند الله و عند الناس و طقت ذلك 30 ثم سأله يعقوب فقال أخبرني اسمك ، قال و ما سؤالك عن اسمي ..." سعديا الفيومي ، **تفسير التوراة بالعربية** ، مرجع سابق ، ص: 152، و نجد أنه في قصة بنتي لوط مع أبيهما يذكر القصة بما فيها مكتفيا بعدم علم لوط بما حدث .

ابن قتيبة قد تأثر في كتابه مشكل القرآن بأبي عبيدة في استخدام كلمة المجاز بهذا المعنى العام " [1]، و قد لاحظ الحاخام موشيه موردخاي تسوكر هذا التأثر فيقول في هذا السياق : " و يشبه الرابي سعديا جاؤون أبو عبيدة و ابن قتيبة في أن أدخل في باب المجاز كل شاذ في نحو الكلمة مثل تغيير الحروف ، نقصان حرف ، إضافة حرف ، المفرد بدلا من الجمع ، و الجمع عوضا عن المفرد ، و الحاضر مكان الغائب و الغائب مكان الحاضر و ما شابه ذلك أنظر بصفة خاصة مقدمته لتفسير سفر التكوين "[2] .

3-4 تأثر الفيومي بمباحث أصول الفقه عند العلماء المسلمين :

يظهر تأثر المفسرين اليهود في العصر الوسيط بمباحث أصول الفقه ، و بصفة خاصة بالضوابط و التفريعات اللغوية التي وضعها علماء المسلمين في هذا الفن ، خاصة إذا علمنا أن المفسرين اليهود لم تكن لهم ضوابط لغوية واضحة في تفسيرهم بل كان تفسير التاناخ يخضع لما يتبدى للمفسر ، " و في المصادر اليهودية القديمة لا نجد قيودا لإعطاء دلالة ثانوية لكلمة واحدة في موضع واحد ، و قالوا في السنهدرين 24 : 1 مقرا واحد يصدر عدة تعليلات ، و مثال هذا فسر قدماؤنا سفر اللاويين 26:19 لا تأكلوا بالدم ، في خمسة أمور ، و الواقع فإنه طبقا لطبيعة البريتا ، فيها أن المقصود أن كل واحد من التنائيم قد فسر هذه الفقرة طبقا لأسلوبه الخاص ، أما الأمورائيم ، قد فهموا خمسة تفاسير متداخلة في هذه الفقرة ، و يبدو من ترجمة الرابي سعديا و تفسيره في عدة مواضع أنه أوجد الحقيقة و المجاز في فقرة واحدة ..."[3]

و يظهر تأثر الرابي سعديا جاؤون بمباحث العام و الخاص ، و ما فيها من تفصيلات عند العلماء المسلمين في أعماله التفسيرية للتناخ ، "فنجد أن الرابي سعديا جاؤون يذكر و يوضح تتابع قضية الأقوال التي هي على نمط العام طبقا لصيغتها و خاصة طبقا لمدلولها ، ففي مقدمته لسفر الأمثال ص 10 من طبعة ديرنبورج فإنه يقدم القاعدة الخامسة في لغة المقرا فيقول : قول عام طبقا للتعبير و خاص طبقا للموضوع ،و في تفسيره لإشعياء 13: 7 و على أن أول مسموع قول كل الأيد و كل قلب قاس بأنه عموم فإن المعنى فيه خاص ، و هو قوم بابل دون جميع الناس ، و هي رغم أن التعبير كل الأيد و كل قلب قاس يفهم كقول عام ، فإن موضوعه خاص ، لأنه يقصد به أناس بابل فقط و ليس كل الناس ، و بناء على ذلك فقد ترجم ذلك لذلك جميع أيديهم تسترخ و جميع قلوب أناسهم تتماسى ، و في كتاب اللمع لابن جناح طبعة فلينسكي ص 369 توجد قائمة طويلة لهذه القضية و كلها على أساس ترجم الرابي سعديا جاؤون و تفاسيره"[4].

و تأثر سعديا الفيومي بمباحث أصول الفقه الإسلامي واضح في تفاسيره ، و قد أقر بذلك الحاخام موشي مردخاي تسوكر، ففي تعليقه على مسائل العام و الخاص عند الرابي سعديا جاؤون يقول إن لها ما يقابلها في التراث الإسلامي ، بشكل أكثر وضوحا و بيانا فيقول :"ونجد هذه القضية أكثر بيانا و تفصيلا باسم الفقيه و عالم الكلام أحمد بن حنبل و الذي أسس مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، و ذلك كما أورده ابن بدران الدمشقي فيقول في صفحة 109: طبقا لرأينا فإن أنواع العام المشار إليها محددة و هي العام على أساس قصد المتكلم ،و في كل موضع لا يشمل دليلا عقليا أو كلمة ثانوية تشير إلى أن القصد في

[1] – أبو عبيدة معمر بن المثنى ، **مجاز القرآن** ، تحقيق : محمد فؤاد سيزكين (محمد سامي أمين الخانجي ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1954) ،ج : 1، ص:18 .

[2] – موشيه موردخاي تسوكر، مرجع سابق ، ص : 60 .

[3] – المرجع نفسه ، ص : 88 ، 89 .

[4] – المرجع نفسه ، ص : 101.

الكلمة العام هو العام الحقيقي فإنها تنسب لنوع العام طبقا لتعبيراته و الخاص طبقا لقصده ، و قد أكد علماء المتكلمين العرب تتابع الذي ينسب العام و الخاص مثل الذي ينسب الحقيقة و المجاز ، و كذلك في كتاب المغني 17: 25 ترد كلمة الخاص بإهامها ، تختلف عن الكلمة التي وضعت للخاص ، و بأسلوب الحقيقة لا يمكن أن يفهم العام مثل الخاص و الخاص مثل العام ..."[1]

خاتمة:

نستخلص مما سبق أن الفكر الديني الإسلامي أثر على الفكر الديني اليهودي في العصور الوسطى تأثيرا ظاهرا من النواحي الفكرية و العلمية ، و من مظاهر هذا التأثر محاولات إعادة قراءة و تفسير النص الديني اليهودي في العصور الوسطى .

– تشكل إعادة تفسير سعديا الفيومي للتوراة مظهرا جليا من مظاهر تأثر الفكر الديني اليهودي بالفكر الديني الإسلامي ، فما قام به الفيومي من تفسير للتوراة يعتبر انعكاسا للتفاعلات الفكرية التي طبعت الفكر الإسلامي في هذه المرحلة .

– حاول الفيومي عقلنة التراث الديني اليهودي ، مقتفيا بذلك الآراء الكلامية لفرقة المعتزلة ، و كان دافعه في ذلك مواجهة التحديات الفكرية الجديدة ، التي فرضها الفكر الديني الإسلامي على الفكر الديني اليهودي .

– من مظاهر تأثر الفيومي بالفكر الديني الإسلامي تبنيه لتوجهات فرقة المعتزلة ، في قضية التحسين و التقبيح العقليين ، محاولا إعطاء مساحة أوسع للعقل في قراءة التراث اليهودي .

– تميزت قراءة النصوص الدينية في التراث اليهودي بغياب الضوابط العلمية و اللغوية ، و إعطاء مساحة واسعة لانطباعات الربانيين حول النصوص ، و قد حاول الفيومي متأثرا بالثقافة الإسلامية إيجاد ضوابط علمية و لغوية لتفسير النص الديني اليهودي.

– تأثر الفيومي بالمباحث البلاغية عند المسلمين حول الحقيقة و المجاز ، و حاول تطبيق هذه المباحث على التراث الديني اليهودي ، فحاول تأويل النصوص التي تتضمن التشبيه و التجسيم و حملها على معان مجازية ، في المواطن التي استطاع فيها تطبيق هذا الأسلوب .

– تأثر الفيومي بالمباحث اللغوية التي أثارها علماء أصول الفقه المسلمين ، مثل مباحث العام و الخاص و المجمل و المفصل والمشترك، و نجد لديه محاولات لتطبيق هذه الضوابط اللغوية على نصوص التوراة.

– مما سبق يتبين لنا أن آراء المستشرقين حول تأثر الديانة الإسلامية بالديانة اليهودية و بالديانات السابقة لا تنبني على أساس علمي متين ، لذا نوصي بتجنب أسلوب الدراسات القائمة على ردود الأفعال على إنتاج المستشرقين ، و أخذ المبادرة في دراسة المسائل العلمية المتعلقة بعلاقة التراث اليهودي بالتراث الإسلامي ، مع إيلاء الأهمية اللازمة لترجمة و دراسة التراث اليهودي في الحضارة الإسلامية .

قائمة المصادر و المراجع :

– الفيومي سعيد بن يوسف ، **الأمانات و الاعتقادات** ، تحقيق : شريف حامد سالم (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2021).

– الفيومي سعيد بن يوسف ، **تفسير التوراة بالعربية** ، تحقيق : يوسف درينبورج ، نقله إلى الحط العربي : سعيد عطية مطاوع ، أحمد عبد المقصود الجندي (المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2015).

[1] – المرجع نفسه ، ص: 102 .

– قنديل عبد الرزاق أحمد ، **الأثر الإسلامي في لفكر الديني اليهودي** (دار التراث ، القاهرة ، 1984) .

– تسوكر موشيه مردخاي ، **التأثير الإسلامي في التفاسير اليهودية الوسيطة** ، ترجمة : أحمد محمود هويدي (مركز الدراسات الشرقية ، القاهرة ، 2003) .

– ذكري يحيى ، **علم الكلام اليهودي سعيد بن يوسف الفيومي نموذجا** (الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2015)

– الرازي محمد فخر الدين ، **مفاتيح الغيب** (دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1981).

– عبد الجبار القاضي أبو الحسن ، **المغني في أبواب التوحيد و العدل** ، تحقيق : محمد علي النجار ، عبد الحليم النجار (دون معلومات النشر).

– ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، **تأويل مشكل القرآن** ، تحقيق : أحمد صقر(المكتبة العلمية ، دون معلومات نشر). – أبو عبيدة معمر بن المثنى ، **مجاز القرآن** ، تحقيق : محمد فؤاد سيزكين (محمد سامي أمين الخانجي ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1954).

– ابن ميمون موسى ، **تثنية التوراة اليد القوية** ، ترجمة محمد خليل حسين (منشورات الجمل، بيروت –بغداد ، الطبعة الأولى 2016) .

– إدريس محمد جلاء محمد ، **التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي** (مكتبة مدبولي) .